(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

الاتفاق على فصل القوات على الجبهة المصرية

في جو من التوتر العسكري على الحدود المصرية والسورية ، ووسط موجة متزايدة من الاشتباكات العنيفة بين القوات الاسرائيلية وكل من القوات المصرية والسورية ، بدأ وزير الخارجية الاميركي هنري كيسنجر جولته الثالثة في الشرق الاوسط في يوم ١١ من كانون الثاني لمساعدة مصر واسرائيل « على تطوير المفاوضات الخاصة بفصل قواتهما وفك الالتحام بينهما » على جبهة قناة السويس بعد ان فشل المتفاوضون المصريون والاسرائيليون في جنيف في التوصل الى هذا الحل .

وكانت الاوساط السياسية المطلعة قد توقعت منذ مطلع هذا الشهر بان فك الالتحام على جبهة السويس سيتم قبل نهاية الشهر ، وان اقتصار البحث على نقطة محددة بالذات ، وعدم تعرض المتفاوضين للمسائل الشائكة الاخرى : كمسألة القدس ، او الجولان ، او الضفة الغربية وغزة ، او حقوق الشعب الفلسطيني لن يؤديا الى عرقلة الجهود الرامية الى فك التحام القوات . وبالرغم من هذا الرأي المتفائل ، وبالرغم من تأكيد وزير الخارجية الاميركي في مؤتمر صحفي عقده في ٣ كانون الثاني بأن هناك « احتمالا جيدا » لنجاح المباحثات الخاصة بفك الالتحام ، فقد كان هناك رأي متشائم يقول بأنه لا ينتظر تحقيق أي تقدم جدي في هذا الصدد قبل تشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديدة التي لا بد وان تكون — حسب تعبير اسرائيل غاليلي الوزير بلا وزارة وأحد مستشاري رئيسة وزراء العدو — « مستعدة لتقديم تنازلات اقليمية » (رويتر ، ١٩٧٤/١/٤) وان تشكيل هذه الحكومة سيلاقي صعوبات كبيرة رغم بروز اتجاه قوي خلال الحملة الانتخابية يؤكد ضرورة بدء الانسحاب من الاراضي العربية مقابل اتفاق تعاقدي .

ولقد جاءت زيارة كيسنجر الثالثة للشرق الاوسط بناء على طلب الحكومتين المصرية والاسرائيلية ، ورغبة الولايات المتحدة الملحة في ان تحقق المفاوضات أي تقدم وان يتم فك التحام القوات بسرعة حتى تخف حدة التوتر ويصبح من الممكن فتح قناة السويس الامر الذي سيخلق جوا سياسيا ونفسيا واقتصاديا أفضل لحل مجمل قضايا النزاع العربي — الاسرائيلي . وكان كيسنجر قد ذكر هذه النقطة في مؤتمره الصحفي المنعقد في ٣ من كانون الثاني عندما تحدث عن احتمال نجاح المحادثات وقال « ان هذا سيولد بدوره اوضاعا ايجابية جدا لاحراز تقدم مماثل على جبهات أخرى وسيكون جسرا جيدا في محادثات السلام العامة ». ثم كان مجيء وزير الخارجية الاميركية للقيام بدور « الوسيط » لا « المفاوض » الدليل الاكيد على أهمية نجاح المحادثات بالنسبة للسياسة الاميركية في المنطقة .

ودامت « وساطة » كيسنجر من ١١ كانون الثاني حتى مساء ١٧ من الشهر نفسه ، وهو يوم اعلان الاتفاق المصري — الاسرائيلي حول فصل القوات ، وتحديد يوم ١٨ لتوقيعه . واتبع وزير الخارجية الاميركي في وساطته أسلوب الاتصال المباشر ، فانتقل بين القدس واسوان ثلاث مرات حاملا معه المقترحات والمقترحات المعاكسة . واستطاع منذ البداية اكتساب ثقة الطرفين المتنازعين . فلقد اعلن في أسوان في يوم ١٤ « أنا وسيط ، وان الفرقاء وافقوا على مفهومي هذا » (النهار ١٩٧٤/١/١٥) ووصفه وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي في اليوم نفسه بأنه « ليس محاميا لاسرائيل » وان « دوره حيادي وبناء » (النهار ٧٤/١/١٥) وفي وليمة الصحافة بتل ابيب أكد وزير دفاع العدو موشي دايان « انه كان أفضل مفاوض تدخل على مسرح الشرق الاوسط » (فيغارو ٧٤/١/١٥) ، وكان يساعد كيسنجر في عمله فريق اميركي — اسرائيلي وفريق عمل اميركي — مصري وكانت مهمة فريقي العمل صياغة المقترحات او الردود ووضع الخرائط ودراسة المواقف والمواقف المعاكسة . وتدل مختلف التكهنات والتحليلات العسكرية ان نقاط الخلاف الاساسية بين الجانبين المصري والاسرائيلي كانت تدور حول :

١ — حجم القوات المصرية التي ستبقى على الضفة الشرقية وطبيعة تسليحها الثقيل .